

إلى الله أن يرجعه غانماً سالماً . وسرعان ما يزول الخطر ، وتنحرف السفينة إلى نهر الأبله. وتسير فيه إلى أن وصلت إلى غايتها ، فينزله منها ، ويقصد دار ممدوحه المهجورة التي كان القتلى منشورين حولها ، فيمدحه ، ويحظى بعطائه ، ولا يلبث أن يزهد في الإقامة عنده ، ويرغب في العودة إلى أهله ، فيدعو الله أن يتولاه برعايته ، وأن يكتب له السلامة . وتقرب ساعة الرحيل فترتاح نفسه ، ويفرح فؤاده ، وتحمله سفينة ضخمة مع رفاقه من الشيوخ والشبان ، ويصلون بعد سبع ليالٍ إلى واسط ، ثم يطلون على بغداد بعد أن اصفرت وجوههم ، وتغيرت ألوانهم ، فيستبشر خيراً ، ويندرف دموع الفرح لعودته إلى بيته وأهله سالماً .

وواضح أنه عنيّ أشدّ العناية بتصوير مخاوفه وهو راكب تلك السفينة سواء في أثناء ذهابه ، أو في خلال إيابه . وهو تصوير يتفق مع ما كان يثور في نفسه من الهواجس ، وما كان يسيطر عليها من التّطير الذي كان يرى معه كل شيء نديراً من نُدُر الشر . وإن كان قد ذكر بعض صفات السفينة فإن ذكره لوساوسه قد طغى على تصويره للسفينة والرحلة .

وواضح أيضاً أنه لم يتأثر بأوصاف الإبل والحيل كثيراً ، فقد شغل عنها بالحديث عن نفسه ، وإن كنا نلاحظ أنه ألمّ ببعضها كالأواخر والأصلاّب والأعجاز والقوادم والهادي والسروج فإن إلمامه بها ظلّ سريعاً موجزاً ، يقصد منه إلى الإطراف .